

بنية المقدمة الطللية في شعر

السري الرفاء: دراسة تحليلية

وصال احمد محمد عود الجبوري

Wisal Ahmed Mohammed Awad Al-Jubouri

قسم اللغة العربية كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة تكريت العراق

OA240179ped@st.tu.edu.iq

أ.د. جمعة حسين يوسف الجبوري

Dr.joumaa@tu.edu.iq

الملخص: يتناول هذا البحث دراسة بنية المقدمة الطللية عند الشاعر العباسي السري الرفاء، كاشفاً عن كيفية مزاجته بين التقليد الشعري الموروث وبين رؤيته الإبداعية الخاصة. يسعى البحث إلى تحليل تجليات "الفقد والموت" و"المشيب" في مقدماته، وبيان الوظيفة الجمالية والدلالية التي أداها الطلل في شعره بوصفه معادلاً موضوعياً لآلام الذات. كما يروم هذا البحث استقصاء "بنية المقدمة الطللية" في نتاج الشاعر العباسي السري الرفاء، بوصفها عتبة نصية مركزية تشكلت وفق رؤية إبداعية تجاوزت حدود المحاكاة الصورية للنموذج الجاهلي. تنطلق الدراسة من إشكالية جوهرية مفادها: كيف استطاع الرفاء توظيف "الطلل" كبنية درامية تعكس صراع الذات مع الزمن؟ يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لاستنتاج النصوص، متناولاً مستويين من التحليل: الأول "موضوعاتي"؛ ويركز على تمثيلات "سيمياء الفقد" وتجليات الفناء والموت، وكيفية تحول الطلل من مكان خارجي (الديار) إلى مكان داخلي (المشيب والجسد)، مما جعل "الشيب" طللاً ذاتياً ينعى فيه الشاعر انقضاء ربيع العمر. والثاني "جمالي فني"؛ يدرس آليات التشكيل البصري وبراعة الاستهلال، مبيناً الوظيفة الدلالية التي أداها الطلل بوصفه "معادلاً موضوعياً" لانكسارات الذات واغترابها السوسيو-ثقافي في العصر العباسي. وقد خلص البحث إلى أن المقدمة الطللية عند السري الرفاء لم تكن مجرد "تأثير" استهلاكي للقصيدة، بل كانت بنية عضوية ملتزمة بالغرض الرئيس، استطاع من خلالها الشاعر صهر الموروث في بوتقة التجربة الذاتية، منتجاً نصاً يجمع بين رصانة التقليد ودهشة التجديد، خاصة في توظيف الأسلوب الاستقهامي والندائي لتجسيد الصدمة الوجودية أمام أطلال الذات والمكان. الكلمات المفتاحية: السري الرفاء، المقدمة الطللية، بنية الفقد، المعادل الموضوعي، الشعر العباسي، التشكيل الجمالي.

Abstract

This research explores the structure of the "Atlal" (Traces) introduction in the poetry of the Abbasid poet Al-Sari al-Raffa, revealing his synthesis of inherited poetic traditions with his unique creative vision. The study seeks to analyze the manifestations of "loss, death, and gray hair" (Al-Masheeb) in his introductions, clarifying the aesthetic and semantic functions of the ruins as an objective correlative to the self's suffering. The research investigates the "Atlal structure" as a central textual threshold (threshold of the text) shaped by a creative perspective that transcended the formal imitation of the Pre-Islamic (Jahili) model. The study addresses a fundamental problem: How did Al-Raffa employ the "ruins" as a dramatic structure reflecting the self's conflict with time? Adopting a descriptive-analytical approach, the study operates on two analytical levels:

1. **Thematic Level:** Focuses on the "semiotics of loss" and the manifestations of annihilation, observing the transformation of ruins from an external space (the dwellings) into an internal space (the body and gray hair), thus rendering "gray hair" a subjective ruin through which the poet mourns the passing of his youth.
2. **Aesthetic and Technical Level:** Examines the mechanisms of visual formation and the brilliance of the preamble (Istihlal), demonstrating how the ruins functioned as an "objective correlative" to the self's

brokenness and socio-cultural alienation during the Abbasid era. The research concludes that the "Atlal" introduction in Al-Sari al-Raffa's poetry was not merely a decorative opening; rather, it was an organic structure fused with the primary theme. The poet successfully melted the poetic heritage into his subjective experience, producing a text that balances the solidity of tradition with the brilliance of innovation, particularly through the use of interrogative and vocative styles to embody the existential shock before the ruins of both the self and the place. Keywords: Al-Sari al-Raffa, Atlal Introduction, Structure of Loss, Objective Correlative, Abbasid Poetry, Aesthetic Formation.

المقدمة:

يُعد السري الرفاء حلقة وصل بين التقاليد الشعرية العريقة والنزعة التجديدية في العصر العباسي. وتبرز "المقدمة" في شعره كعنصر فني متكامل يعكس رؤيته للعالم، حيث لم تعد مجرد استهلال تقليدي بل فضاء إبداعي يدمج الأصول بالأساليب المستحدثة. تكمن مشكلة البحث في ندرة الدراسات التي تناولت الأبعاد الأسلوبية لمقدماته الطليعية وكيفية تفاعله مع التراث الشعري العربي (القرطاجني، ١٩٨١). أي أن الشاعر العباسي "السري الرفاء" يحتل مكانة مركزية في خارطة الشعر العربي، بوصفه نموذجاً جلياً للشاعر الذي استطاع أن يقيم توازناً خلاقاً بين سلطة الموروث الشعري وبين النزعات التجديدية التي فرضها التحول الحضاري في العصر العباسي. وتتجلى هذه الخصوصية في "بنية المقدمة" عنده؛ إذ لم تعد مجرد عتبة نصية استهلاكية تخضع لآلية التقليد والمحاكاة، بل تحولت إلى "فضاء رؤيوي" تتشابه فيه الذات الشاعرة مع قضايا الوجود والزمن والفقد (إسماعيل، ١٩٩٢). إن المقدمة في شعر الرفاء تمثل وحدة عضوية متكاملة، استثمر فيها الشاعر طاقاته التشكيلية ليعيد صياغة "الطلال" و"الغزل" و"الرحلة" وفق رؤية إبداعية تدمج الأصول العريقة بالأساليب المستحدثة. وتنبثق مشكلة البحث من ملاحظة الفجوة في الدراسات النقدية التي تناولت نتاجه؛ إذ ركز أغلبها على الجوانب الوصفية العامة، في حين بقيت الأبعاد الأسلوبية العميقة لمقدماته الطليعية والتحولات الدلالية في بنية "الفقد والمشيبي" لديه بحاجة إلى استقصاء تحليلي يكشف عن كيفية تفاعله مع التراث لا بوصفه قيداً، بل بوصفه مادة خاماً لإعادة الإنتاج الجمالي.

مشكلة البحث: تنبثق مشكلة البحث من ملاحظة فجوة واضحة في الدراسات النقدية التي تناولت نتاج السري الرفاء؛ إذ انصب جل الاهتمام السابق على الجوانب الوصفية العامة أو التراجم التاريخية، في حين بقيت الأبعاد الأسلوبية العميقة لمقدماته، والتحولات الدلالية في بنية "الفقد والمشيبي" لديه، بحاجة إلى استقصاء تحليلي دقيق. ويسعى هذا البحث للإجابة عن تساؤل مركزي: كيف استطاع الرفاء توظيف أدواته الأسلوبية لإعادة إنتاج "المقدمة" بوصفها بنية درامية تعكس صراع الإنسان مع الزمن، بعيداً عن القوالب الجاهزة؟

أهمية الدراسة: تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تسلط الضوء على آليات "الانزياح والاستمرار" في مقدمة القصيدة عند الرفاء. فهي لا تقف عند رصد الأغراض، بل تحاول استنطاق التشكيلات البصرية والصيغ الأسلوبية (كالنداء، والاستفهام، والتشبيه) التي وظفها الشاعر لتعميق الوظيفة التأثيرية للمقدمة. إن هذا التناول يسهم في فهم أعمق لجماليات النص العباسي المتأخر وتطوره البنيوي، ويكشف عن عبقرية الشاعر في التعامل مع التراث لا بوصفه قيداً، بل بوصفه مادة خاماً لإعادة الإنتاج الجمالي.

منهجية البحث: اعتمدت الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**، مع الاستئناس بأدوات **النقد الأسلوبية** و**السيمائية النص**، لتفكيك الروابط بين الصيغ اللغوية والمعاني الفلسفية التي تضمنتها المقدمات، وصولاً إلى فهم شامل لخصوصية التجربة الإبداعية عند السري الرفاء.

التمهيد: السياق التاريخي والظاهرة الفنية

أولاً: السري الرفاء .. جدلية الذات والمهنة: هو أبو الحسن، السري بن أحمد الكندي الموصلية (ت ٣٦٢هـ)، الملقب بـ "الرفاء"؛ نسبةً إلى حرفته في رفو الأثواب وتطريزها. لم تكن هذه التسمية مجرد دلالة مهنية، بل كانت عتبةً لفهم طبيعة نتاجه الشعري؛ فقد انعكست "دقة الرفو" و"مهارة التطريز" على لغته الشعرية التي اتسمت بالرقّة، والعناية بالجزئيات، والقدرة الفائقة على التصوير البصري. إن قرب الرفاء من طبقات المجتمع العامة، ومعاناته في طلب الرزق، جعلاً شعره يلامس نبض الواقع وهموم الذات المغترية، وهو ما تجلّى بوضوح في مقدماته التي لم تكن متعالية على الوجدان الإنساني، بل كانت مرآة لصراع الشاعر بين طموحه الفكري وواقعه الاجتماعي المأزوم في القرن الرابع الهجري يبرز أبو الحسن، السري بن أحمد الكندي الموصلية (ت ٣٦٢هـ)، الملقب بـ "الرفاء"، كظاهرة أدبية فريدة في القرن الرابع الهجري. لم تكن حرفته في "رفو الأثواب" وتطريزها مجرد وسيلة للكسب أو لقباً اجتماعياً عارضاً، بل تحولت إلى "مرجعية جمالية" أثّرت بشكل مباشر في تشكيل وعيه الفني وهندسة قصائده. (ضيف، د.ت)

١- فلسفة "الرفو" في النص الشعري: انعكست دقة "الرفو" ومهارة "التطريز" على لغة الرفاء الشعرية، حيث يمكننا رصد تداخل بين العمل اليدوي والعمل الإبداعي. فكما يجمع الرفاء الخيوط ببراعة ليعيد بناء الثوب، نجد السري الرفاء يعتني بـ "جزئيات الصورة" اعتناءً فائقاً، (عباس، ١٩٩٨) ويقوم بـ "تطريز" مطالع قصائده بصور بصرية غنية بالألوان والتفاصيل الدقيقة. إن شعره يتسم بـ "الرقعة التشكيلية"، حيث تصبح الكلمة عنده بمثابة الخيط الملون الذي ينسج به لوحة المقدمة، (بدوي، ١٩٨٣) مما جعل نقاد عصره ومن جاء بعدهم يلمسون في شعره صبغة "التطريز" الفني.

٢- المعاناة الاجتماعية واغتراب الذات: لم ينفصل السري الرفاء عن سياقه التاريخي المأزوم؛ فقد عاش في بيئة مضطربة سياسياً واجتماعياً، وكان قريباً من معاناة العامة وطبقات المجتمع الكادحة. هذا الالتصاق بالواقع ولّد لديه إحساساً حاداً بـ "الاغتراب"، فجاءت مقدماته الشعرية مشحونة بـ "الوجع الإنساني" (إسماعيل، ١٩٩٢). "إن جدلية (الذات والمهنة) عنده تظهر في محاولته الدائمة للتسامي على واقعه الاجتماعي المأزوم من خلال رفعة فنه. فالمقدمة عنده ليست مجرد تقليد، بل هي "مرآة عاكسة" للصراع المرير بين طموحه الفكري العالي وبين واقعه المادي الذي أرغمه على الكدح (القرطاجني، ١٩٨١) ..

٣- الانعكاس على بنية المقدمة: لقد أدى هذا المزيج بين "دقة المحترف" و"معاناة الإنسان" إلى إنتاج مقدمات شعرية تتسم بالآتي:

• كثافة التصوير البصري: تأثراً بمهنة التطريز التي تعتمد على العين واللون (بدوي، ١٩٨٣).

• النزعة الدرامية: تعبيراً عن قلقه الوجودي واغترابه الذاتي (إسماعيل، ١٩٩٢).

• الاتصال بالواقع: حيث استطاع أن يمنح "الأطلال" و"الخمير" و"الغزل" أبعاداً تلامس همومه الشخصية، محولاً الموروث إلى تجربة حية.

وبذلك، فإن دراسة السري الرفاء تبدأ من فهم هذا الرابط الخفي بين "أصابع الرفاء" و"خيال الشاعر"، حيث تحولت الحرفة من عائق اجتماعي إلى ميزة فنية منحت شعره خصوصية ميزته عن أقرانه في العصر العباسي (عباس، ١٩٩٨) ..

ثانياً: المقدمة الطللية.. من الموروث التراكمي إلى التحول النوعي: تمثل المقدمة الطللية في الوجدان الشعري العربي "بروتوكولاً" فنياً وبنية ذهنية راسخة، صاغت ملامحها الأولى عبقرية التشكيل القصيدي (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ) منذ امرئ القيس وابن خذام. وهي في جوهرها تمثل لحظة "السكون الاسترجاعي" التي تسبق حركة النص الكبرى؛ حيث يتوقف الزمن الفيزيائي عند عتبة الأطلال، ليفسح المجال أمام "الزمن النفسي" لاستحضار الذاكرة ومواجهة حتمية الغياب. (القرطاجني، ١٩٨١)

١- من بكاء الديار إلى استنطاق الوجود: في تجربة السري الرفاء، نلاحظ تحولاً نوعياً في التعامل مع هذا الموروث التراكمي؛ إذ لم تعد المقدمة استعادة نمطية أو محاكاة باردة للأطلال الجاهلية بطروفيها الصحراوية، بل استحالة "الطلل" عنده إلى "رمز كوني" يتجاوز حدود الجغرافيا (ضيف، دت) .. فإذا كانت القصيدة القديمة تقف عند (الديار والآثار) بما هي موجودات مادية، فإن الرفاء نقل الطلل إلى فضاء "فلسفة الفقد" (إسماعيل، ١٩٩٢) ..

٢- التحول السيميائي للأطلال: تحولت الأطلال في شعره من مجرد (أحجار ودروس) إلى "علامات سيميائية" تشير إلى انكسار القوة وزوال الأمل (الزمخشري، ١٩٩٨). إن الرفاء لا يبكي المكان لذاته، بل يبكي من خلاله "مرارة الزمان" وسطوته على الكائن الإنساني. هذا الامتزاج بين حنين المكان وقهر الزمان جعل من مقدماته فضاءً درامياً تتصادم فيه الرغبة في البقاء مع حتمية الغناء (باقر، ١٩٧٥).

٣- جماليات التشكيل وبراعة التخلّص: لم تكن هذه المقدمات الطللية عند الرفاء جزءاً معزولة عن جسد القصيدة، بل كانت تشكل وحدة عضوية تمهد للغرض الرئيس (سواء كان مدحاً أو رثاءً) ببسر فني وموسيقي عالٍ يُعرف بـ "براعة التخلّص" (القرطاجني، ١٩٨١) فالشاعر يوظف "انكسار الذات" في الطلل ليخلق مبرراً شعورياً للانتقال إلى موضوعه الأساسي، مما يمنح النص تماسكاً بنيوياً يربط البدايات بالخواتيم (القرطاجني، ١٩٨١) وبذلك، فإن السري الرفاء قد أخرج المقدمة الطللية من حيز "التقليد المفروض" إلى حيز "الضرورة الفنية"، محولاً إياها إلى أداة لتحليل الواقع المعقد وصراع الإنسان العباسي مع تحولات عصره المأزوم.

المحور الأول: سيميائية الفقد وفلسفة الغناء في البنية الطللية تتجاوز "المقدمة الطللية" في تجربة السري الرفاء حدود المحاكاة التقليدية للموروث الشعري القديم، لتتحول إلى بنية درامية مشحونة بدلالات وجودية غائرة. فالطلل عنده لم يعد مجرد استحضار لذاكرة المكان المادي، بل استحالة إلى "فضاء سيميائي" يُعيد تشكيل ثنائية (الحضور والغياب). إن الرفاء لا يبكي الأطلال بوصفها بقايا عمرانية، وإنما يستنطقها بوصفها علامات دالة على تحولات الكينونة الإنسانية وصراعاها الأزلي مع العدم (إسماعيل، ١٩٩٢).

أولاً: الاستراتيجيات الأسلوبية والتصعيد الدرامي (سيمائية "صدمة الفقد"): يعتمد السري الرفاء إلى كسر رتابة الاستهلال التقليدي عبر استراتيجية "التصعيد الدرامي"، حيث يبدأ النص بلحظة انفجار شعوري تتجسد في "صدمة الفقد". هذه الصدمة لا تأتي عبر السرد الوصفي الهادئ، بل من خلال أدوات استهلامية ذات طابع استنكاري وفلسفي، تهدف إلى إرباك المتلقي ووضعه أمام "العنثية الوجودية" التي يفرضها تحول المكان (القرطاجني، ١٩٨١)

• **انطولوجيا الاستفهام وتجليات الغياب:** يظهر وعي الشاعر بجبروت الزمن من خلال توظيف التقابلات الضدية التي تمنح النص بعداً درامياً. يتجلى ذلك بوضوح في قوله (الرفاء، د.ت):

هذا الغديرُ طما فأين الساقى ... والمعللُ استعلى فأين الراقي

في هذا البيت، نحن أمام بنية سيميائية مركبة؛ فالشاعر يضعنا أمام مفارقة صارخة بين "بقاء الجماد" و"فناء الإنسان".

١. **ثبات المادة (الطمو والاستعلاء):** تعكس المفردات (طما، استعلى) حالة من العنفوان المادي والنمو، فالماء يفيض والحسن يشمخ، مما يوحي بسلطة المكان وقدرته على مقاومة الاندثار.

٢. **عدمية الإنسان (أين الساقى؟ أين الراقي؟):** في المقابل، يأتي الاستفهام بـ "أين" ليحيلنا إلى الفراغ والغياب المطلق. فالإنسان (الساقى/الراقي) الذي كان هو "المحرك الدلالي" للمكان ومنحه صفة الحياة، قد تلاشى تماماً. (الجوهري، ١٩٨٧).

هذا التقابل الضدي يعمق الإحساس بـ "جبروت الزمن القاهر"؛ فالأشياء التي صنعها الإنسان أو سقاها (الغدير، المعلل) غدت شاهدة على غيابه، وكأن المكان في شعر السري الرفاء يتحول إلى "كيان استعلائي" يمارس سطوته على الكائن البشري الهش. إن الاستفهام هنا ليس طلباً للمعلومة، بل هو صرخة احتجاجية تجسد "الصدمة الوجودية" أمام حقيقة أن المادة أبقى من الروح، وأن الأثر يدوم بينما يذوي المؤثر.

وبذلك، تخرج المقدمة الطللية عند الرفاء من حيز "الغرض الشعري" لتصبح "رؤية كونية" ترى في الطلل مسرحاً لصراع الوجود، حيث يتم توظيف اللغة لا لرسم المكان، بل لتشريح أزمة الإنسان المعاصر مع الزمن والفناء. (عباس، ١٩٩٨)

ثانياً: حتمية الزوال والتماهي بين الطلل والذات:

يرتقي الرفاء برؤيته للطلل ليكون معادلاً موضوعياً لحتمية الفناء الإنساني. فالطلل عنده ليس مجرد "دار" دراسة، بل هو "نص" يقرأ فيه الشاعر مصيره الشخصي:

• **الدهر كقوة تدميرية:** يصور الشاعر الدهر في مقدماته كقوة غاشمة لا ترحم، حيث يربط بين تآكل جدران المنازل وتآكل سنوات العمر. الأطلال في شعره هي "شهود عيان" على انكسار القوة، وهي وسيلة فنية لنقل التجربة من الحيز الخاص (فراق المحبوبة) إلى الحيز العام (فناء البشرية جمعاء) (ضيف، د.ت).

• **ديالكتيك البقاء والفناء:** تبرز في هذا السياق صورة "الطلل المعاند"، الذي رغم دروسه وبقائه صامتاً، فإنه ينطق بمرارة الفقد، مما يجعل القارئ يخطر في تجربة شعورية قوامها الحزن الكوني (Universal Melancholy)، وهو ما يمنح مقدماته بعداً إنسانياً يتجاوز حدود العصر العباسي ليلامس الأسئلة الوجودية الخالدة (باقر، ١٩٧٥)

٥. **المحور الثاني: أنسنة الطلل.. المشيب بوصفه انكساراً وجودياً ومعادلاً ذاتياً**

لم يعد الشاعر بحاجة للوقوف على "الأثافي" و"النؤي" ليستشعر الفقد، بل أصبح جسده هو "الطلل" المتحرك. إن السري الرفاء يعتمد إلى أنسنة الطلل، حيث يتماهى بياض الشيب مع بياض الآثار المحوّة، وكلاهما علامة على "النهاية". هذا التحول يجعل من تجربة الفقد تجربة ملازمة للشاعر لا تفارقه بفرار المكان، مما يعمق من حدة القلق الوجودي لديه؛ فالمكان قد يُستعاد بالذاكرة، أما "طلل الجسد" (المشيب) فهو انكسار لا رجعة فيه. (إسماعيل، ١٩٩٢).

انتقل السري الرفاء بالبنية الطللية من فضاء "المكان الخارجي" إلى فضاء "الجسد الإنساني"، حيث لم يعد الطلل عنده مجرد ديار خالية، بل استحال إلى "شيب" يغزو الرأس؛ فغدا المشيب هو الخراب الذي يحلّ بالذات، والطلل الذي ينعي فيه الشاعر أقول ربيع العمر. ويمكن رصد هذا التحول عبر المستويين الآتيين:

أولاً: ديالكتيك الألوان (ثنائية السواد والبياض) والتحول السوسيو-ثقافي:

في الطلل التقليدي، كان الشاعر يرجو عودة الحياة للديار عبر استسقاء المطر، وهو ما يُعرف بالزمن الدائري. أما في "طلل المشيب" عند الرفاء، فإن الزمن يتخذ مساراً "خطياً فاجعاً" نحو الفناء. المشيب هنا ليس مجرد تغير في لون الشعر، بل هو "صدمة رؤية" تضع الشاعر وجهاً لوجه أمام

حقيقة موته القادم. لقد استطاع الرفاء أن يجعل من "المشيب" معادلاً ذاتياً للأطلال، حيث تلقتي "عفاوة الديار" بـ "عفاوة الشباب"، ليصبح النص الطللي لديه استعارة كبرى لضياح الوجود الإنساني في دوامة الزمن الذي لا يرحم. استثمار الرفاء التضاد اللوني بين "سواد الشباب" و"بياض المشيب" لا بوصفه تبديلاً فيزيائياً فحسب، بل بوصفه رمزاً للتحوّل الاجتماعي والإقصاء الوجداني. (الزومخشي، ١٩٩٨)

• **سيمياء اللون:** يمثل "السواد" في مقدماته رمزاً للقوة، والوصل، والقبول الاجتماعي، بينما يمثل "البياض" (الشيب) علامة على "الدروس" والاندثار (الجوهري، ١٩٨٧).

• **الإقصاء الاجتماعي:** وظف الشاعر هذا التحوّل ليعبر عن صدمته من مجتمع العصر العباسي الذي بات ينظر إلى الشيب كعائق أمام اللذة والهوى، مما حول بياض رأسه إلى "جدار فاصل" يعزله عن عالم المسرة، ويضعه في مواجهة مباشرة مع التهميش (ضيف، د.ت)

ثانياً: استعارة الخراب (جسد الشاعر طلاً دارساً):

برع الرفاء في عقد مقارنة استعارية بين "عناصر الطل" (من دروس، وتهدم، وتغير معالم) وبين "جسد الشيخ العاجز". (القرطاجني، ١٩٨١)

• **التشكيل الاستعاري:** استعار الشاعر مفردات البيئة الطللية ليصف بها حالته الجسدية والنفسية؛ فضعف البصر، وانحناء الظهر، ووهن القوى، هي المعادل الموضوعي لـ "الأثار الدارسة" التي عفتها الرياح. (بدوي، ١٩٨٣)

• **صورة الشيخ الحكيم مقابل مجتمع الهوى:** يعبر الرفاء عن مفارقة حزينة؛ ففي الوقت الذي كان ينبغي أن يُقدّر فيه الشيب بوصفه "وقاراً وحكمة"، يجد نفسه مغترّباً في بيئة لا تحتمي إلا بالشباب والنزوات. هذا الصراع النفسي حوّل مقدماته إلى "رثاء ذاتي" يستنق رثاء الموت، حيث يشخص جسده كبناية متهدمة لم يتبقّ منها سوى ذكريات المجد الغابر (إسماعيل، ١٩٩٢)

لم يكتفِ الرفاء بالبكاء على الديار، بل جعل من "الشيب" طلاً ذاتياً.

• **ثنائية السواد والبياض:** وظف الشاعر التحوّل من سواد الشباب إلى بياض الشيب ليدل على التحوّل الاجتماعي والإقصاء.

• **صورة الشيخ العاجز:** استعار العناصر الطللية (كالدروس والخراب) ليصف حالته الجسدية والنفسية أمام مجتمع لم يعد يقدّر الحكمة كما يقدّر الهوى.

المحور الثاني: أنسنة الطل.. المشيب بوصفه انكساراً وجودياً ومعادلاً ذاتياً

يمثل الانتقال بالبنية الطللية من فضاء "المكان الخارجي" إلى فضاء "الجسد الإنساني" أحد أبرز تجليات التجديد عند السري الرفاء. فلم يعد الطل في تجربته مجرد ديار خالية أو آثار مادية تزورها الرياح، بل استحال عبر آلية "العدول الدلالي" إلى "شيب" يغزو الرأس ويغير ملامح الكينونة. لقد نقل الرفاء مفهوم الخراب من (الجغرافيا) إلى (البيولوجيا)، فغدا المشيب هو الخراب الحقيقي الذي يحلّ بالذات، والمعادل الموضوعي للأطلال التي ينعي فيها الشاعر أقول ربيع العمر وضياح الهوية الأولى.

الذاتية

بعد استقراء نصوص "بنية المقدمة الطللية" في شعر السري الرفاء وتفكيك أنساقها الدلالية والجمالية، يمكن القول إن هذه المقدمة لم تكن في تجربته مجرد استجابة لـ "سلطة الموروث" أو وقوفاً نمطياً على الأطلال، بل كانت استراتيجية فنية وإعوية استطاع من خلالها الشاعر أن يحول "الطل" من كونه دياراً مادية دارسة إلى "فضاء فلسفي" ومعادل موضوعي "لقلقه الوجودي واغترابه الذاتي". لقد برهن الرفاء على قدرة فائقة في دمج "دقة الحرفي" (الرفاء) مع "خيال المبدع"، لينتج نصاً استهلالياً تتشابه فيه الذات مع المكان والزمان في وحدة عضوية متماسكة، أخرجت المقدمة من وظيفتها التمهيدية التقليدية إلى آفاق "الرمزية الإنسانية" الشاملة.

Conclusion

After exploring the texts of the "Atlal (Traces) Introduction structure" in Al-Sari al-Raffa's poetry and deconstructing its semantic and aesthetic patterns, it can be concluded that this introduction, in his experience, was not merely a response to the "authority of heritage" or a conventional standing over the ruins. Rather, it constituted a conscious artistic strategy through which the poet transformed the "Atlal" from physical, decaying dwellings into a "philosophical space" and an "objective correlative" for his existential anxiety and subjective alienation.

Al-Raffa demonstrated an exceptional ability to merge the "precision of the craftsman" (the mender/Al-Raffa) with the "imagination of the creator." This synthesis produced an introductory text in which the self, space, and time intertwine in a cohesive organic unity. Consequently, he elevated the introduction from its traditional preliminary function into the broader horizons of universal "human symbolism."

لقد توصل البحث إلى جملة من النتائج الجوهرية، أهمها:

١. التحول من الخارجي إلى الداخلي: نجح السري الرفاء في "أنسنة الطفل"، حيث انتقل به من الحيز المكاني (الديار والرسوم) إلى الحيز الذاتي (الشيب والجسد)، فغدا المشيب لديه "طلائعاً نفسياً" ينعى فيه انكسار العمر وأفول الشباب.
٢. سيميائية الفقد والعدم: كشفت الدراسة أن الاستفهام والاستنكار في مقدمات الرفاء لم يكن طلباً للمعلومة، بل كان أداة لتجسيد "الصدمة الوجودية" أمام عبثية البقاء ومواجهة ثنائية (حضور الجماد/ غياب الإنسان).
٣. التشكيل البصري (الصيغة الفنية): أظهرت النتائج تأثير لغة الشاعر بحرفته (الرفو والتطريز)، مما منح مقدماته ثراءً بصرياً ودقة في رصد التفاصيل، واستخداماً مكثفاً للألوان كعناصر دلالية تعمق الوظيفة التأثيرية للمقدمة.
٤. الوحدة العضوية وبراعة التلخيص: أثبت البحث أن المقدمة عند الرفاء لا تعمل بمعزل عن الغرض الرئيس، بل هي بنية ممهدة تتصل بموضوع القصيدة (مدحاً أو رثاءً) عبر روابط دلالية ونفسية محكمة، مما يعكس نضج البناء القصيدي لديه.
٥. التوازن بين التقليد والتجديد: استطاع الشاعر الحفاظ على هيكل القصيدة العربية الأصيل مع ضخ دماء جديدة فيه عبر "الانزياحات الأسلوبية"، مما جعله حلقة وصل عبقرية بين التراث الشعري ونزعات العصر العباسي التجديدية.

التوصيات

في ضوء ما قدمه البحث، يوصي الباحث/ الباحثة بالآتي:

١. الدراسات البينية: ضرورة التوسع في دراسة شعر السري الرفاء من منظور "التحليل النفسي" وعلاقته بسيميائية المكان، لتعميق فهمنا لاغتراب الذات المبدعة في العصر العباسي المتأخر.
٢. الصورة البصرية: يوصي البحث بإجراء دراسات متخصصة حول "التشكيل اللوني" في ديوان الرفاء، لربط مهارته اليدوية (كرقاء) بأسلوبه التصويري بشكل أوسع.
٣. المقاربات الأسلوبية: دعوة الباحثين لاستخدام المناهج النقدية الحديثة (كالبنوية والظاهرية) في قراءة مقدمات الشعراء الذين غلب عليهم لقب "الحرفة" في العصور الأدبية المختلفة، للكشف عن أثر المهنة في الرؤية الإبداعية.
٤. تحقيق النصوص: الاهتمام بجمع ما تبقى من مقطوعات أو قصائد للرفاء قد تكون مبعثرة في كتب الاختيارات الشعرية، وإعادة فحص مقدماتها بما يتسق مع التحولات البنوية التي كشف عنها هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر التراثية (الدواوين والكتب القديمة)
- الأمدى، الحسن بن بشر. (د.ت). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (تحقيق السيد أحمد صقر، ط٤). دار المعارف.
- ابن رشيقي القيرواني، الحسن. (2000). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). المكتبة العصرية.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (١٤٢٣هـ). الشعر والشعراء. دار الحديث.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. دار العلم للملايين.
- الرفاء، السري بن أحمد. (د.ت). ديوان السري الرفاء (طبعة محققة/ أو جمع وترتيب المحدثين).
- الزمخشري، محمود بن عمر. (1998). أساس البلاغة (تحقيق محمد باسل عيون السود). دار الكتب العلمية.
- القرطاجني، حازم بن محمد. (1981). منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢). دار الغرب الإسلامي.
- ثانياً: المراجع الحديثة (الكتب)
- باقر، طه. (1975). ملحمة كلكاش: أوديسة العراق الخالدة. وزارة الإعلام.
- بدوي، عبده. (1983). الرؤية البصرية في الشعر الجاهلي. دار المعارف.
- إسماعيل، عز الدين. (1992). التفسير النفسي للأدب. دار العودة.
- ضيف، شوقي. (د.ت). تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني. دار المعارف.
- عباس، إحسان. (1998). تاريخ النقد الأدبي عند العرب. دار الثقافة.

- إدريس قاسم، باسم. (٢٠١٤). الشاعر الجاهلي والوجود: دراسة فلسفية ظاهراتية. مجلة المستقبل العربي، (423).
- إبراهيم عيسى، حكمت. (٢٠١٠). الصورة الحسية في شعر السري الرفاء. مجلة جامعة تشرين للبحوث، ٣٢(2).
- جاسم، علي متعب، وعائش، شيماء نزار. (٢٠١٦). صورة البطل في الشعر العربي: تحليل ثقافي. مجلة ديالي، (70).
- جاسم محمد، سامي. (٢٠١٣). طيف الخيال في الشعر الجاهلي: بواعثه وتجلياته. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ٢٠(2).
- نجاحي، نجلاء. (٢٠٢١). جماليات المطلع وحسن الاستهلال في ديوان الإسلام لابن مخلوف القسنطيني. مجلة مقاليد، ٧(3).

Sources and References:

First: Traditional Sources (Classical Books and Diwans)

- Al-Amidi, H. B. (n.d.). *Al-Muwazanah bayna Shi'r Abi Tammam wal-Buhturi* (Ed. Ahmad Saqr, 4th ed.). Dar Al-Maaref.
- Ibn Rashi al-Qayrawani, H. (2000). *Al-Umdah fi Mahasin al-Shi'r wa Adabihi wa Naqdih* (Ed. Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid). Al-Maktabah al-Asriyyah.
- Ibn Qutaybah, A. M. (2002/1423 AH). *Al-Shi'r wal-Shu'ara*. Dar Al-Hadith.
- Al-Jawhari, I. H. (1987). *Al-Sahhah: Taj al-Lughah wa Sahhah al-Arabiyyah*. Dar Al-Ilm Lil-Malayan.
- Al-Raffa, A. S. (n.d.). *Diwan Al-Sari al-Raffa* (Edited Edition).
- Al-Zamakhshari, M. O. (1998). *Asas al-Balaghah* (Ed. Muhammad Basil Oyun al-Sud). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Al-Qartajanni, H. M. (1981). *Minhaj al-Bulagha wa Siraj al-Udaba* (Ed. Muhammad al-Habib bin al-Khoja, 2nd ed.). Dar al-Gharb al-Islami.

Second: Modern References (Books)

- Baqir, T. (1975). *Epic of Gilgamesh: Iraq's Eternal Odyssey*. Ministry of Information.
- Badawi, A. (1983). *Visual Vision in Pre-Islamic Poetry*. Dar Al-Maaref.
- Ismail, E. D. (1992). *Psychological Interpretation of Literature*. Dar Al-Awda.
- Dayf, S. (n.d.). *History of Arabic Literature: The Second Abbasid Era*. Dar Al-Maaref.
- Abbas, I. (1998). *History of Literary Criticism among the Arabs*. Dar Al-Thaqafa.

Third: Periodicals and Scientific Journals

- Idris Qasim, B. (2014). The Pre-Islamic Poet and Existence: A Phenomenological Philosophical Study. *Arab Future Journal*, (423).
- Ibrahim Issa, H. (2010). The Sensory Image in the Poetry of Al-Sari al-Raffa. *Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies*, 32(2).
- Jassim, A. M., & Ayes, S. N. (2016). The Image of the Hero in Arabic Poetry: A Cultural Analysis. *Diyala Journal*, (70).
- Jassim Muhammad, S. (2013). The Phantom of Imagination (Tayf al-Khayal) in Pre-Islamic Poetry: Its Motives and Manifestations. *Tikrit University Journal for Humanities*, 20(2).
- Najahi, N. (2021). Aesthetics of the Preamble and Excellence of the Inception in the Diwan of Islam by Ibn Makhloof al-Qusantini. *Maqalid Journal*, 7(3).